البحث رقم (٢)

ألفاظ السوم في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

الأستاذ المساعد الدكتور
خالد إبراهيم مسلم
الجامعة العراقية
كلية العلوم الإسلامية
khalidalalosy@yahoo.com

ISSN: 2071-6028

أ.م.د. خالد إبراهيم مسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فقد تشعبت رؤى العلماء حول مادة القرآن الكريم بما تطرق من موضوعات شتى وكانت من تلك الرؤى الدراسة الموضوعية التي أصبحت من الدراسات المهمة لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم واستخراج الحلول النافعة بربط الموضوعات بعضها مع بعض للخروج بمعالجة دقيقة نتيجة تتبع موضوعات القرآن المتفرقة في الآيات ولعل من الموضوعات التي عالجها القرآن الكريم في الآيات المبثوثة في القرآن الكريم في مختلف سوره ألفاظ السوم التي عالجت موضوعا مهما حدث في التاريخ البعيد على يد الظالمين وما حل بهم من العذاب حتى تعتبر بها الأمم ولاسيما أمة القرآن وتكون لها وقفات قبل الإقدام على مثل تلك الأعمال التي حل العذاب بالأمم بسببها ثم إن هذا السوم قد تجاوز الحياة الدنيا بمعرفة حال طوائف من الناس في تمايزهم عن بعضهم البعض نتيجة الأعمال التي قدموها في الحياة الدنيا حتي يتهيأ لها في حياته قبل آخرته وإن مما لا شك فيه أن هذه المعالجات القرآنية نور تهتدي بها الأمة بعد حبيبها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ ، السوم ، موضوعية

THE WORDS OF DERIVED FROM (SAWM) IN THE HOLY QURAN AN OBJECTIVE STUDY

Ass. Prof. Dr. Khaled E. Muslem

Summary

praise be to Allah, Lord of the worlds, and blessings and peace envoy mercy for the worlds and his family and companions and after: it has branched out visions of scientists about the Quran article touched on various topics of study were those visions Substance has become one of the important studies of addresses the Koran extract the beneficial solutions to link topics together to come up with accurate tracking result processing discrete Quran verses and topics may be subjects addressed by the Qur'an in verses delivered in Quran In various subject addressed by the Somme words Sura whatever happened in history at the hands of the oppressors and their solution of agony until his mother is Salvadoran Nations Koran and have pauses before taking such actions which torment caused Nations then this Somme had exceeded the minimum life with ID Case of folks in communities their differentiation from each other as a result of their actions in life until her footing in his life before the hereafter and that this undoubtedly Quranic wizards guiding light nation after her beloved master.

Keywords: Words, selling, objectivity

ISSN: 2071-6028

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن القرآن الكريم لا يزال ينبوع هذه الأمة الصافي في حياتها اليومية تستمد منه حياتها وحلولها مما يقع لها من مشاكل فهو بحق دستورها العظيم الذي لا غنى لها عنه فهو يرفدها في كل جيل وزمان بما تحتاجها في مسيرتها الدنيوية،وقد تشعبت رؤى العلماء حول مادة القرآن الكريم بما تطرق من موضوعات شتى وكانت من تلك الرؤى الدراسة الموضوعية التي أصبحت من الدراسات المهمة لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم واستخراج الحلول النافعة بربط الموضوعات بعضها مع بعض للخروج بمعالجة دقيقة نتيجة تتبع موضوعات القرآن المتفرقة في الآيات ولعل من الموضوعات التي عالجها القرآن الكريم في الآيات المبثوثة في القرآن الكريم في مختلف سوره ألفاظ السوم التي عالجت موضوعا مهما حدث في التاريخ البعيد على يد الظالمين وما حل بهم من العذاب حتى تعتبر بها الأمم ولاسيما أمة القرآن وتكون لها وقفات قبل الإقدام على مثل تلك الأعمال التي حل العذاب بالأمم بسببها ثم أن هذا السوم قد تجاوز الحياة الدنيا بمعرفة حال طوائف من الناس في تمايزهم عن بعضهم البعض نتيجة الأعمال التي قدموها في الحياة الدنيا حتي يتهيأ لها في حياته قبل آخرته وإن مما لا شك فيه أن هذه المعالجات القرآنية نور تهتدي بها الأمة بعد حبيبها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لذا فقد ارتأيت أن أكتب في هذا الموضوع في دراسة علمية موضوعية تكشف ما ذكرته من موضوعات تخدم القاريء الكريم وقد اقتضت الدراسة أن تكون على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وثبتا للمصادر والمراجع أما المقدمة فقد تكلمت فيها عن أهمية الموضوع ومشكلة الدراسة وخطة البحث ثم أتيت إلى المبحث الأول:وعنونته بالتعريف

ISSN: 2071-6028

بألفاظ السوم في اللغة والاصطلاح ومساحة مادتها في القرآن الكريم والألفاظ المقاربة لها ذات الصلة بها ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: التعريف بألفاظ السوم في اللغة والاصطلاح. والمطلب الثاني: مساحة مادة السوم في القرآن الكريم. والمطلب الثالث: الألفاظ المقاربة للفظة السوم .

أما المبحث الثاني فقد عنونته: سوم بني إسرائيل سوء العذاب.والذي كان الحديث عن هذا السوم الذي أراد به آل فرعون التنكيل ببني إسرائيل وتعذيبهم أشد العذاب والذي كان حسيا إلى الجانب المعنوي والذي فيه إذلالهم وما إلى ذلك ثم أتيت إلى المبحث الثالث وعنوانه: أثر السيما في تمايز الناس فقد كانت للسيميا أثرها في جعل الناس طوائف منها خاصة بأهل الشر وأخرى بأهل الخير وما يتعلق بذلك من أمور. ثم المبحث الرابع: التسويم للعذاب والاعتبار. الذي كان للسيما أثرها في الاعتبار والاتعاظ ومعرفة أهل المعاصي وأهل الإيمان .ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج في هذه الدراسة الموضوعية ثم ثبتا للمصادر والمراجع. والله أسأل أن ينال البحث استحسان القراء وأن يكون خالصا لوجهه الكريم أنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين.

ISSN: 2071-6028

المبحث الأول:

التعريف بألفاظ السوم في اللغة والاصطلاح
ومساحة مادتها في القرآن الكريم والألفاظ المقاربة لها ذات الصلة بها

لكي نحيط بمفهوم السوم في القرآن الكريم لا بد من معرفة مفهوم اللفظة في اللغة والاصطلاح ومن ثم معرفة ورودها في القرآن لمعرفة المعاني المنضبط من خلال سياق الآية التي نزلت فيه ومكان نزولها ولكي تتسع معرفة اللفظة لا بد من أن نتعرف على ألفاظ قاربت اللفظة في المعاني وذات صلة بها تبين لنا المعاني القريبة والبعيد للفظة حتى نلم بمعانيها التي أرادها الله تعالى وهي من باب توسعة المعنى في فهم النص القرآني وهذا المبحث يشتمل على:

المطلب الأول:

التعريف بألفاظ السوم في اللغة والاصطلاح

جاء معنى السوم في اللغة على معان عدة وذلك لأن لفظة السوم في أصل وضعها مصدر للفعل سام يسومُ سومًا والاسم منه السومة والسِيمة وهو يعطي دلالات عدة وقد جمعها ابن فارس في مقاييسه فقال: "السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشيء. يقال سِمتُ الشيء، أسومُهُ سَوما. ومنه السَّومُ في الشراء والبيع. ومن الباب سامتْ الراعيةُ تسومُ، وأسمتها أنا. قال الله تعالى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[١]، أي ترعون. ويقال سومت فلانا في مالي تسويما، إذا حكمته في مالك. وسومت غلامي: خليته وما يريد. والخيلُ المسومةُ: المرسلة وعليها ركبانُها. وأصل ذلك كلِه واحدٌ. ومما شذ عن الباب السومة، وهي العلامةُ تجعل في الشيء، والسِيما مقصور من ذلك قال الله سبحانه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[٢]، فإذا مدوه قالوا السيماء"[٣].

---

(١) سورة النحل من الآية:١٠.

(٢) سورة الفتح من الآية:٢٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مادة (سوم) ١١٨/٣.

ISSN: 2071-6028

فقد جاءت لفظة السوم بمعنى الطلب كما صرح بها ابن فارس وجاءت بمعنى الشراء أي عَرْضُ السِّلْعة على البَيْع ولهذا يقال سُمْتُ بِالسِّلعة أسوم بهَا إذا قلتَ: أتأخُذها بِكَذَا من الثّمن ولهذا يقال وسامَني الرجلُ بسِلعتِه سَوْماً وَذَلِكَ حينَ يذكر لَك هُوَ ثمَنها(١).

وتأتي بمعنى الرعي يقال: سامتْ الغنمُ، والغنمُ تسومُ قال الله جل اسمه: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون، وتقول فيه: أسمتُها أنا(٢).

ومنها السَّومُ بمعنى العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا تقول منه: (تسوم). وفي الحديث: «تَسَوَّمُوا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ»(٣)(٤)، والخيلُ المسومةُ المعلمةُ(٥) وقيل: المرسلةُ وعليها ركبانُها، وهو من قولك: سَوَّمت فلانا إذا خليته وسومه أي وما يريد، وقيل: الخيلُ المسومةُ هي التي عليها السِيما والسَومةُ وهي العلامةُ ... والسومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ٧٥/١٣.

(٢) التقفية في اللغة: اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت ٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد: ١٩٧٦م: ٦٣٦.

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: غزوة بدر الكبرى ومتى كانت وأمرها: ٣٥٤/٧، برقم (٣٦٦٦٨)، ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١٩٥٥/٥.

(٥) ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م: ١٥٤/٣.

ISSN: 2071-6028

والسوم سرعةُ المرِّ مع قصد الصوبِ في السيرِ[١]، وهو ما ذلك ابن فارس في أصل السوم بقوله:" ما يدل على طلب الشيء"[٢]، وابتغاءه[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[٤].

وقَالَ أهل اللُّغَة: مَعْنَاهُ: يُولُونَكم سُوءَ الْعَذَاب، أَي: شديدَ العذَاب ...وقيل أرادُوهم بِه،...وقيل عَرضوا عَلَيْهِم[٥].

يتبين أن السَّومَ يدل في أصله على وصف حالةٍ حسيةٍ، وهو الطلبُ والمبايعةُ والعلامة والرعي والإرادة والعرض، وكلها جعلت لها وصفا واحد وهو السوم وإن كانت هي أمور حسية والله تعالى أعلم

أما في الاصطلاح فالسَّومُ هو الذهابُ في ابتغاءِ الشيءِ[٦]، ثم تفرع عنه القول بحسب ما يشتمل عليه من حالة ففي البيع يعرف بأنه طلب المبيع بالثمن الذي تصور به البيع[٧].

---

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: مادة (سوم) ٣١٠/١٢.

(٢) مقاييس اللغة: مادة (سوم): ٧٥/١٣.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة (سوم): ٤٢٨/٣٢.

(٤) سورة البقرة: من الآية:

(٥) تهذيب اللغة:٧٥/١٣.

(٦) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ١٩٩.

ISSN: 2071-6028

وقيل: رعي المواشي في المراعي دون دفع قيمة الزرع الذي ترعاه[١].

وأيا كان فإن الذهاب والابتغاء موجود في ما قدمنا من التعريفات فمن اراد البيع فقد ذهب إليه وابتغاء وحتى في رعي الماشية فالراعي ابتغى الرعي وذهب إليه والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني:

مساحة مادة (السوم) في القرآن الكريم.

لقد جاءت لفظة السوم بصيغ متنوعة بحسب المعنى المطلوب الوارد في الآيات وهي صيغة مطلوبة لتجلي المعنى المراد وحسب إعجاز المفردة المقصود في وضعها في الآيات وفيما يأتي جدول في عرض صيغ اللفظة وبيان مكيها ومدنيها ومكان وجودها في الآية والقرآن الكريم مع بيان الصيغ في تجلي المعنى المراد من لفظة السوم.

ت	الآية	المعلومات	اللفظ المقصود
١	وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾	البقرة مدنية	يَسُومُونَكُمْ
٢	تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾	البقرة مدنية	بِسِيمَاهُمْ
٣	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾	الأعراف مكية	بِسِيمَاهُمْ
٤	وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾	الأعراف مكية	بِسِيمَاهُمْ

(١) معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م: ٢٥٣.

ISSN: 2071-6028

ت	الآية	المعلومات	اللفظ المقصود
٥	وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾	الأعراف مكية	يَسُومُونَكُمْ
٦	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾	الأعراف مكية	يَسُومُهُمْ
٧	مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾	هود مكية	مُسَوَّمَةً
٨	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾	إبراهيم مكية	يَسُومُونَكُمْ
٩	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾	الحجر مكية	للمتوسمين
١٠	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾	النحل مكية	تُسِيمُونَ
١١	وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾	محمد مدنية	بِسِيمَاهُمْ
١٢	مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾	الذاريات مكية	مُسَوَّمَةً
١٣	يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾	الرحمن مكية	بِسِيمَاهُمْ

بعد وضع اللفظة في جدول تبين لنا أنها جاءت على صيغ وألفاظ مختلف في ثلاثة عشر موضعا من القرآن الكريم على صيغ أربعة ففي سورة البقرة جاءت على صيغتين الأولى بصيغة الفعل المضارع المتصل به واو الجماعة (يَسُومُونَكُمْ) والذي

ISSN: 2071-6028

يدل على تكرار الفعل من قبل آل فرعون وتجدد ذلك منهم وأنه دأبهم في سوم المؤمنين من بني إسرائيل(١).

وهذه الصيغة تكرر ذكرها في سورة الأعراف وإبراهيم والصيغة الأخرى في سورة البقرة جاءت بالاسمية بلفظ (بسيماهم) وقد تكرر ذكرها بهذا اللفظ في مواضع عدة منها في سورة الأعراف في موضعين وفي سورة محمد مرة واحدة وسورة الرحمن مرة واحد.

والسيما العلامة، مشتقة من سام الذي هو مقلوب وسم، فأصلها وسمى، فوزنها عفلى، وهي في الصورة فعلى، يدل لذلك قولهم سمة فإن أصلها وسمة. ويقولون سيمى بالقصر وسيماء بالمد وسيمياء بزيادة ياء بعد الميم وبالمد، ويقولون سوم إذا جعل سمة(٢).

فدلالة الاسمية على الثبوت ولعل العلامة التي يعرف بها كل شيء هي من ثبوتها ولهذا جاء بها في هذه الآيات المباركات فهي علاماتهم الخاصة بهم، وهَذِهِ السِّيمَا لَا تَتَعَيَّنُ بِهَيْأَةٍ خَاصَّةٍ لِاخْتِلَافِهَا بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَال(٣)؟

أما الصيغة الثالثة فهي وإن كانت بالاسمية إلا أنها جاءت على صيغة أسم المفعول وبمعنى من وقع عليها الشيء ولهذا اختلف في معناها فقيل هي معلمة قال الله

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ: ٣/٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٢٩٢. وينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا، بَيروت: ١٤١٢هـ-١٩٩٢ م: ٢/١٣٦.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م: ٣/٧٥.

ISSN: 2071-6028

تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾، يعني المعلمة[١] وقيل مرسلة فهي على ضربين: أحدهما أن تكون معلمة، والثاني أن تكون قد أسميت في المرعى، أي المرسلة في مراعيها، لذا فقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾[٢]، القولين جميعاً، مع العلامة والإرسال.

وأما في قوله عز وجل: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾[٣]، فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً، قالوا: "معلمة"، وكان عليها أمثال الخواتيم[٤]، ويقال المسومة: التي عليها السومة أي العلامة، أي عليها علامات من ألوان تدل على أنها ليست من الحجارة المتعارفة[٥].

أما الصيغة الرابعة فقد جاءت بصيغة اسم الفاعل في سورة الحجر بلفظ (المتوسمين)، (والمتوسّمون) جمع المتوسّم، اسم فاعل من (توسّم) الخماسيّ، وزنه متفعّل بضمّ الميم وكسر العين[٦]،وهم أصحاب التوسم وهو التأمل في السمة، أي العلامة الدالة على المعلم، والمراد للمتأملين في الأسباب وعواقبها وأولئك هم المؤمنون[٧]

(١) ينظر: جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٤.

(٣) سورة هود، الآيتان ٨٢، ٨٣.

(٤) ينظر: الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ٢٢/١.

(٥) التحرير والتنوير: ٥/٢٧.

(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٢٦٤/١٤.

(٧) التحرير والتنوير: ٧٠/١٤

ويقال للمتوسمين للمتفرسين والمعتبرين المتأملين وكله مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك[١] والتوسم تفعل من الوسم وأصله التثبت والتفكر مأخوذ من الوسم وهو التأثير بحديدة في جلد البقر أو غيره، وقال ثعلب: الواسم الناظر إليك من فرقك إلى قدمك[٢].

وجاءت في سورة النحل بصيغة الفعل المضارع (تسيمون) والذي يدل على الحدوث والتكرار وذلك لأن معناها الرعي وهو متكرر منهم في حياتهم اليومية[٣].

المطلب الثالث:

الألفاظ المقاربة للفظة السوم .

هناك ألفاظ قاربت لفظة السوم وذات صلة بها جاءت في القرآن الكريم لها مساحتها ولها أسهامها في تجلى معنى السوم بأوسع مما هي عليه لتؤكد حقيقة التوسع في المعنى للفظة علما أن لفظة السوم تأتي لمعان ثلاث فهي تأتي بمعنى الطلب وتأتي بمعنى العلامة بمعنى النظر والاعتبار لذا فإن ألفاظ ذات الصلة تكون حول هذه المعاني الثلاثة وهي كالآتي:

أولا: الطلب:

الطلبُ في اللغة مصدر طَلَبَ يطلُبُ طلبا بمعنى محاولةُ وجدانِ الشيءِ وأخذه[٤]. والطِّلْبَةُ: مَا كَانَ لَك عِنْد آخر من حقّ تطالبه بِهِ[٥] وقال ابن فارس"الطاء واللام والباء أصل واحد يدلُ على ابتغاءِ الشيءِ. يقال: طلبتُ الشيءَ أطلُبُهُ طَلبا. وهذا

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢٠/١٧.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٢٥٣/٥.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ: ٤٦١/٢.

(٤) ينظر: كتاب العين مادة (طلب): ٤٣٠/٧.

(٥) تهذيب اللغة: ٢٣٧/١٣.

ISSN: 2071-6028

مطلَبي، وهذه طُلبَتي. وأطلبْتُ فلانا بما ابتغاه،أي أسعفته به. وربما قالوا: أطلبتُهُ، إذا أحوجتُه إلى الطلب"(١)

ويأتي الطلبُ بمعنى السعي يقال: طلبَ المجدَ إذا سعى إليه للحصولِ عليه(٢)، ويقال "طلبَ: اتبعَ العدوَّ الهاربَ"(٣).

يتبين لنا أن العلاقة بين الطلبِ والسَّومِ أن في كل منهما طلبٌ وسعيٌ وكلاهما حسيان فالسَّومُ طلبٌ للعذابِ والطلبُ سعي للحصولِ فالكلمتان متلازمتان إلا أن الطلب قد لا يكون في الأمور المعنوية مثل نيل المجد في حين أن السَّوم فيه طلبٌ وإرادةٌ للعذابِ وإنزالِه بالأشخاصِ والله تعالى اعلم

أما الطلبُ في الاصطلاح فيعرف:" بأنه الْجَزْمُ والاقتضاءُ الحتمُ"(٤)، ويقال: الطلب: "الفحص عن وجود الشيء عينا أو معنى"(٥). ويقال: "الطلب حصول الشيء على وجه يقتضي السّعي في تحصيله لولا مانع من الاستحالة والبعد"(٦).

---

(١) مقاييس اللغة: مادة (طلب) ٤١٧/٣.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٤٠٧/٢.

(٣) تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٧٩-٢٠٠٠م: ٦٢/٧.

(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: ٦٦.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٢٧.

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م: مادة (طلب): ١١٣٧/٢.

ISSN: 2071-6028

ثانيا: العلامة: في اللغة أثر بالشيء يتميز به عن غيره. يقول ابن فارس: "العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره.من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: علمت على الشيء علامة. ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب. وخرج فلان معلما بكذا.

والعلم: الراية، والجمع أعلام. والعلم: الجبل، وكل شيء يكون معلما: خلاف المجهل. وجمع العلم أعلام أيضا"(١). والعلامة ما يستدل به على الطريق من أثر(٢).

يتبين لنا أن معنى السوم والعلامة بينهما تلازم فإن السوم هي العلامة إلا أن السوم أعم من العلامة فإن كل علامة سوم وليس كل سوم علامة فهي أخص من السوم والله تعالى اعلم.

أما **العلامة في الاصطلاح** فهي الأعلومة وما ينصب في الطريق فيهتدى به والفصل بين الأرضين(٣). ويقال العلامة ما لا ينفك عن الشيء كوجود الألف واللام على الاسم(٤).

ثالثا النظرُ:

في اللغة مصدرُ نظرَ ينظُرُ نظَرا بمعنى تأمل الشيء بالعين(٥)، قال ابن فارس:" النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته. وحي حلال نظر: متجاورون ينظر بعضهم إلى بعض. ويقولون: نظرته، أي

(١) مقاييس اللغة: مادة (علم): ١٠٩/٤.

(٢) المعجم الوسيط: مادة (علم): ٦٢٤/٢.

(٣) المعجم الوسيط: مادة (نظر): ٦٢٤/٢٢.

(٤) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة: ٢٨٠.

(٥) الصحاح: مادة (نظر): ٨٣٠/٢.

ISSN: 2071-6028

انتظرته. وهو ذلك القياس، كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه... ومن باب المجاز والاتساع... ومنه نظر الدهر إلى بني فلان فأهلكهم"[١].

ويأتي النظر لمعان عدة منها: منها الاعتبار والتفكر ،والتعطف والرحمة والانتظار وبمعنى الاستماع[٢].

يتبين لنا أن بين السوم والنظر خصوص وعموم فالسوم أخص من النظر وذلك لأن السوم نظر بانتقام بينما النظر أوسع من ذلك فقد يكون النظر بمعنى الهلاك وقد يكون بمعنى الرأفة والرحمة فهو من هذا الباب أوسع والله تعالى أعلم.

(١) مقاييس اللغة: مادة (نظر): ٤٤٤/٥.

(٢) ينظر: الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، المحقق: حاتم صالح الضّامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م: ١٢٥.

ISSN: 2071-6028

المبحث الثاني:

سوم بني إسرائيل سوء العذاب

لقد مر بنو إسرائيل بمواقف قبل بعثة موسى عليه السلام نبيا ورسولا وقد أخذت هذه القصة جانبا عظيما من القرآن الكريم وقد تكررت الألفاظ والحوارات التي جرت بين بني إسرائيل وفرعون الذي كان متجبرا طاغيا في الأرض وكان من عصبة ملكه هو تعذيب الناس واستعبادهم على مرأى ومسمع من الخلق وإن كان أضاف الله جل ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون ببني إسرائيل من سومهم إياهم سوء العذاب، وذبحهم أبناءهم، واستحيائهم نساءهم إليهم، دون فرعون وإن كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كان بقوة فرعون، وعن أمره لمباشرتهم ذلك بأنفسهم. فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه، وإن كان عن أمر غيره، ففاعله المتولي ذلك هو المستحق إضافة ذلك إليه، وإن كان الآمر قاهرا الفاعل المأمور بذلك –سلطانا كان الآمر، كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم إلى آل فرعون دون فرعون، وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك، فعلوا ما فعلوا، مع غلبته إياهم وقهره لهم. فكذلك كل قاتل نفسا بأمر غيره ظلما، فهو المقتول به قصاصا، وإن كان قتله إياها بإكراه غيره له على قتله(١).

فالله امتن على بني إسرائيل بهذا النعمة الكبرى بأنجائه لهم من فرعون وآله الذين اتخذوا من عذابهم لبني إسرائيل أصنافا من العذاب وقد حملة كلمة السوم هذا التنوع في العذاب ففي سورة البقرة وإبراهيم ذكر التذبيح وفي سورة الأعراف ذكر التقتيل وفي هذا إشارة لأنواع العذاب كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره بأنهم كانوا يذيقون بني إسرائيل شديدَ العذاب مع إذاقتهم إياهم ذلك يذبحون أبناءهم، ودخول الواو في قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، أريد به الخبرُ عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بني

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤١/٢.

ISSN: 2071-6028

إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضعٍ آخر من القرآن، فإنه جاء بغير الواو: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[١]، وفي موضع ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[٢]، وإنما لم تدخل الواو في ذلك لأنه أريد بقوله: (يذبحون)، وبقوله: (يقتلون)، تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم[٣].

ففي هَذِهِ الْآيَةُ تَفْصِيلٌ لِنِعْمَةِ اللهِ عَلَى شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، وكونها منحة جاءتهم من قبل الله بإِنْجَائِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَتَوْبَتِهِ عَلَيْهِمُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ لِيُعَرِّفَهُمْ مِقْدَارَ فَضْلِهِ وَعُقُوبَتِهِ مَعًا.وَابْتُدِئَ التَّفْصِيلُ بِذِكْرِ التَّفْضِيلِ وحكمته، وَهُوَ نُهُوضُ الْهِمَّةِ إِلَى التَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالتَّرَفُّعِ عَنِ الرِّضَا بِمَا دُونَ الْمَقَامِ الَّذِي رَفَعَهُمُ اللهُ إِلَيْهِ، وَتَوْطِينِ النَّفْسِ لِقَبُولِ الْمَوْعِظَةِ وَفِي ذَلِك الْعَذَابِ وَفِي التَّنْجِيَةِ مِنْهُ بَلَاءٌ وَامْتِحَانٌ عَظِيمٌ لَهمْ مِنْ رَبِّهمْ فَتَكُونُ الْعُقُوبَةُ تَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا تُفِيدُ الْمُعْتَبِرِينَ بِهَا نِعْمَةً وَسَعَادَةً[٤].

وقد كشفت دلالة السوم بما أراد فرعون ببني إسرائيل من العذاب بِجَعْلِهم عَبِيدًا مُسَخَّرِينَ لِخِدْمَتِهِمْ كَالْبَهَائِمِ فَلَا يَعُدُّونَهمْ مِنْهُمْ، ثم خَصَّ بِالذِّكْرِ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ شَرَّ أَنْوَاعِهِ بِقَوْلِهِ "يُقَتِّلُونَ" مَا يُوَلَدُ لَهم مِنَ الذُّكُورِ، وَيَسْتَبْقُونَ نِسَاءَهمْ بِتَرْكِ الْإِنَاثِ لَهمْ لِيَزْدَادُوا ضَعْفًا بِكَثْرَتِهِنَّ وَفِي ذَلِك الْعَذَابِ وَالْإِنْجَاءِ مِنْهُ بِفَضْلِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ عليهم[٥].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٤٩.

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٤١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٢٤/١٦.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م: ٢٥٦/١.

(٥) ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦م: ٥٤/٩.

كما كان من دلالة السوم ما كان يفعله فرعون وآله ببني إسرائيل من إذاقتهم العذاب وتكليفهم من الأعمال ما لا يطاق مع القهر والإذلال، وتذبيحهم أبناءهم وإبقاء نساءهم على قيد الحياة ذليلات مستضعفات، وهذا رز من أشد الأرزاء، وأعظم ألوان البلاء [١] فهم بين قتيل ومذلل بالأعمال الشاقة، مستحيي على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة، فمنَّ الله عليهم بالنجاة التامة وإغراق عدوهم وهم ينظرون لتقر أعينهم[٢].

ويتجلى السوم في قول ابن إسحاق بقوله: كان فرعون يعذب بني إسرائيل فيجعلهم خدماً وخولاً، وصنفهم في أعماله: فصنف يبنون وصنف يزرعون له فهم في أعماله، ومن لم يكن منهم في صنعة من عمله فعليه الجزية فسامهم[٣].

والسوم من سام الماشية أي جعلها سائمة ترعى دائما فكأن العذاب كان هو الغذاء الدائم الذي يطعمونهم إياه!! ثم يذكر لونا من هذا العذاب. هو تذبيح الذكور واستحياء الإناث. كي يضعف ساعد بني إسرائيل وتثقل تبعاتهم[٤] فقد ساموهم سوما، أي يوالون به ويتابعون، فلا يفتر عنهم ولا ينقطع. ومن ألوانه البارزة تذبيح

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: ١٣٠/١٣.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٠٠٠ م: ٥٢.

(٣) توفيق الرحمن في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ١٣٣/١.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ: ٧٠/١.

الذكور من الأولاد واستحياء الإناث، منعا لتكاثر القوة المانعة فيهم واستبقاء لضعفهم وذلهم(١).

فقد كانوا يكرهونكم إكراها على العذاب الأليم، الذي يسوقونهم سوقا إليه، كما تساق السائمة، لا تملك من أمرها شيئا... لكن لا إلى المرعى الذي تجد عنده شبعها وريّها، بل إلى العذاب، الذي يصلون ناره، ويتقلبون على جمره (٢) فالسوم هنا أتى بمعنى المعاملة معاملة المحقوق بما عومل به يقال سامه خسفا إذا أذله واحتقره... وسوء العذاب أشده وأفظعه وهو عذاب التسخير والإرهاق وتسليط العقاب الشديد بتذبيح الأبناء وسبي النساء بأن يعتدوا على أعراضهن ولا يجدن بدا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق(٣) واستحياء النساء في ذاته نعمة ولكنه يصير من العذاب عند اقترانه بتذبيح الأبناء، إذ يعلم أن مقصودهم من استحياء النساء استرقاقهن وإهانتهن فصار الاستحياء بذلك القصد تهيئة لتعذيبهن. ولذلك سمي جميع ذلك بلاء(٤). ونعمة من الله لإنقاذهم من شر من في الوجود إبان ذلك، وهو فرعون الذي اتخذه الفساق الظالمون من الحكام قدوة يقتدون به في مظالمه، وإن لم يستطيعوا أن يصلوا إلى أن ينتصروا في الحروب مثل انتصاره في عصره(٥).

وقد تأذن الله تعالى بأن أعلم وأخبر ليبعثن على بني إسرائيل أنهم إذا نقضوا العهد فإنه يسوق إليهم أو يبعث عليهم ويسلط عليهم ذلك في خلال المستقبل كله،

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٠٨٨/٤.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة: ٤٧٢/٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩٢/١.

(٤) المصدر نفسه: ١٩١/١٣.

(٥) ينظر: زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي: ٢٢٤/١.

ISSN: 2071-6028

والبعث مطلق لا عام من يسومهم سوء العذاب أشده، لأن العذاب كله سوء فسوءه الأشد فيه، وهو وعيد الله إياهم بأن يسلط عليهم عدوهم كلما نقضوا ميثاق الله تعالى[١] والتسليط بالعذاب الشديد نتيجة ظلمهم وفسقهم وفسادهم في الأرض[٢]، وبهذا تبين لنا ما جاء في لفظة السوم من معان تدل على إعجاز هذه الكلمة دون غيرها لو وجدت في مكانها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٩/١٤٥-١٤٦.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ٩/٩٧.

المبحث الثالث:

أثر السيما في تمايز الناس

لقد كان للسيما (العلامة) دورها في تمايز بعض الناس نتيجة ما اتصفوا بها من صفات تميزهم عن غيرهم وقد نبه الله تعالى إلى تلك السيماء التي تنطبق على بعض الاشخاص نتيجة أمور تميزهم عن غيرهم من الناس ففي سورة البقرة ذكر الله تعالى طائفة من الناس الذين وصلوا إلى حد الفقر ومع ذلك لم يتعرف عليهم أحد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهم من خلال علامة لصقت بهم فقال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾[1].

وقد اختلف علماء التفسير في هذه السيما التي أخبر الله جل ثناؤه بها عن حالهم التي يعرفون بها فمنهم من ذهب إلى أن هذه السيما هو التخشُّع والتواضع وهو مروي عن مجاهد ومنهم من ذهب إلى أن ذلك من سيما الفقر وجَهد الحاجة في وجُوههم وهو مروي عن السُّدي والربيع ومنهم من ذهب إلى أن معرفتهم من رثاثة ثيابهم. والجوعُ خفيّ، وهو مروي عن ابن زيد[2].

وذهب الطبري إلى القول بأن الله عز وجل أخبر نبيَّه ﷺ أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم. وإنما كان النبيُّ ﷺ يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعِيان، فيعرفُهم وأصحابه بها، كما يُدرك المريضُ فيعلم أنه مريض بالمعاينة. وقد يجوز أن تكون تلك السيما كانت تخشُّعًا منهم، وأن تكون كانت أثر الحاجة والضرّ، وأن تكون كانت رثاثة الثياب، وأن تكون كانت جميعَ ذلك، وإنما تُدرك علامات الحاجة

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٩٣/٥.

وآثار الضر في الإنسان، ويعلم أنها من الحاجة والضر، بالمعاينة دون الوصف. وذلك أن المريض قد يصير به في بعض أحوال مرضه من المرض، نظيرُ آثار المجهود من الفاقة والحاجة، وقد يلبس الغني ذو المال الكثير الثيابَ الرثة، فيتزيّى بزيّ أهل الحاجة، فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصّفة على أنّ الموصوف به مختلٌّ ذو فاقة. وإنما يدري ذلك عند المعاينة بسيماه، كما وصف الله نظير ما يُعرف أنه مريض عند المعاينة، دون وَصْفه بصفته(١).

فسيماهم دلت عليهم وهي تترك لفراسة المؤمن الذي يتحرى بالإنفاق أهل الاستحقاق إذ صاحب الحاجة لا يخفى على المتفرس مهما تستر وتعفف، ولا يختص ذلك بخشوع وتواضع، ولا برثاثة في الثياب، فربّ سائل يأتيك خاشع الطرف والصوت رثّ الثياب، تعرف من سيماه أنه غنى وهو يسأل الناس تكثرا، وكم رجل يقابلك بطلاقة وجه، وحسن بزّة فتحكم عليه في لحن قوله، وأمارات وجهه أنه فقير عزيز النفس،وحقيقة أمرهم لا يسألون الناس شيئا مما في أيديهم سؤال إلحاح كما هو شأن الشحاذين وأهل الكدية، وقد يكون المعنى– أنهم لا يسألون أحدا شيئا لا سؤال إلحاف ولا سؤال رفق واستعطاف(٢).

وقد ذكر النبي ﷺ من تلك الحالة التي يكون عليها أهل التعفف ومن سيماهم بقوله: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»(٣).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٩٧/٥.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ٥٠/٣.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، باب قوله تعالى ﴿لا يسألون الناس ألحافا﴾ برقم (١٤٧٩) ١٢٥/٢. ومسلم في صحيحه: باب المسكين الذي لا يجد غنى، برقم (١٠٣٩) ٧١٩/٢.

فالتعفف والمبالغة في التنزه عن الطمع مما في أيدي الناس،صفتهم وحالهم فإذا رآهم الجاهل بحقيقة حالهم ظنهم أغنياء وهذا ما أشار إليه جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾(١).

فهؤلاء ليسوا من الطفيليين الذين يعيشون عالة على كسب غيرهم، وإنما هم أزهد الناس فيما في يد الناس، وقد بذلوا أنفسهم وخرجوا عن ديارهم وأموالهم في سبيل المبدأ والعقيدة فهم متجملون بالتعفف والقناعة والصبر، حتى ليحسبهم من لا نفاذ لبصره في حقائق الأمور، أنهم أغنياء لا حاجة بهم إلى شيء من مال أو متاع، وقد يكون أحدهم طاويا لأيام لم يذق طعاما. ولكن البصير الذي يتفرس في وجوههم، فينفذ إلى دخيلة أمرهم يجد منهم ما يخفيه تعففهم وتجملهم من ضرّ الجوع، وأذى المسغبة(٢) وهكذا كشفت لنا هذه السيما عن طائف من الناس يكون حالهم على ما ذكر علما أنهم يكونون في كل عصر وهم أناس إيجابيون وليسوا سلبيين وقد نبه الله عليهم نبيه ومن بعده أمته لتحتضن هؤلاء عبر العصور.

ونأتي إلى طائفة أخرى سيماهم تفضحهم لما هم عليه من عقيدة تخالف أقوامهم الذين يعيشون معهم وهم أناس سلبيون وحالتهم مرضية تستشري في المجتمع لصد الناس عن الحقائق ويقفون في صف الأعداء في الخفاء وهم جرثومة في الأمة المتماسكة وقد فضحهم الله تعالى في كتابه العزيز وأخبر حبيبه عنهم لأنهم نصرة لأعدائه وكشف لعورات المسلمين فقال الله في حقهم والتي فضحتهم سيمائهم من خلال معاملاتهم مع المسلمين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٣.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ٣٤٨/٢.

(٣) سورة محمد الآية ٣٠.

فقد كشفت هذه السيما عن حالهم فهم معروفون بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم(١)، فالكلام على التقديم والتأخير فبعض سيماهم بالبديهة معرفتهم إضافة هذه بعض علاماتهم في معرفتهم من القول والفعل(٢) فقد كان المنافقون يعتمدون على إتقانهم فن النفاق، وعلى خفاء أمرهم في الغالب على المسلمين. فالقرآن يسفه ظنهم أن هذا الأمر سيظل خافيا، ويهددهم بكشف حالهم وإظهار أضغانهم وأحقادهم على المسلمين. ويقول لرسوله ﷺ لو نشاء لكشفنا لك عنهم بذواتهم وأشخاصهم، حتى لترى أحدهم فتعرفه من ملامحه وعلاماتهم التي فضحهم الله بها ومن ذلك فإن لهجتهم ونبرات صوتهم، وإمالتهم للقول عن استقامته، وانحراف منطقهم في خطابك سيدلك على نفاقهم الذين يستسرون بالكفر ويظهرون الإيمان(٣).

وهكذا ساهمت السيما في الكشف عن حقيقة طائفة أخرى مما كان العداء للمسلمين ديدنهم فهم في صف الأعداء وهم أخطر فئة عرفها التاريخ على مر العصور وكر الدهور.

وتكشف لنا السيما عن طائفة أخرى ليست في الدنيا وإنما في الآخرة بين أناس دخلوا الجنة وأناس كانت جهنم مصيرهم وملاذهم وهو طائفة كانت لها رؤية لكل الفريقين وذلك لأنها كانت تعيش معهم فهم على معرفة بهم في الدنيا وقد كانت للسيما دورها في الكشف عن كلا الفريقين حتى قيل اذا كانوا معهم لماذا لم يخلوا مع الفريقين

---

(١) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٨٣/٢٢.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ٢٨٢/٩.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٢٩٨/٦.

في المصيرين قال ابْن مَسْعُود، وَحُذَيْفَة، وَعَطَاء أنهم أناس استوت حسناتهم وسيئاتهم فأصبحوا وسطا بين الفريقين(١).

وأعطاهم الله هذه المنزلة فقال الله عنهم: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾(٢)، وقال: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾(٣).

قال ابن عباس: عن رجال عرفوا بهذا الاسم: أنزلهم الله بتلك المنزلة، ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوَّذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيّون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها، وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله(٤).

فقد كشفت تلك السيما عن هؤلاء الفريقين ففريقا كانت وجوههم سودا وعيونهم زرقا وهو المروي عن الحسن وهم أهل العذاب وأخرى وهم أهل الجنة ببياض وجوههم(٥).

(١) ينظر: تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م: ١٨٢/٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٤٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٤٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٦٢/١٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦٢/١٢.

ISSN: 2071-6028

فهم على حقيقة الأمر يعرفون أهل الجنة بسيماهم- ربما ببياض الوجوه ونضرتها أو بالنور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم- ويعرفون أهل النار بسيماهم- ربما بسواد الوجوه وقترتها، أو بالوسم الذي على أنوفهم التي كانوا يشمخون بها في الدنيا(١).

وهكذا كانت السيماء لها دورها في الكشف عن حقيقة الناس في الآخرة ومآلهم في الجنة والنار لتؤكد حقيقة أن للسيماء دورا كبيرا في تمايز الناس بعضهم عن بعض في الدنيا والآخرة.

(١) في ظلال القرآن: ١٢٩٣/٣.

ISSN: 2071-6028

المبحث الرابع:

التسويم للعذاب والاعتبار

لقد جاءت ألفاظ السوم في القرآن الكريم لتقرير العذاب من خلال تسويم الشيء للدلالة أنها جاءت للعذاب بأن وضعت عليها علامات تفارق ما عند الناس من أمور تعارفوا عليها فقال الله تعالى عن الحجارة التي أرسلها الله لعذاب قرى لوط نتيجة الفساد الذي تجاوزوا به الحدود التي حدها الله للبشرية وجعلها قوانين لا يجوز لأحد أن يتعدها إلا أنهم تعدوا تلك الحدود وتجاوزوها فكان الفساد الذي تنقلب عنده الموازين فذكر الله تلك الحالة عن هؤلاء القوم وذكر العذاب الذي كان من ضمنه السوم على الحجارة التي قذفهم بها فقال في محكم التنزيل: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۭ ٨٣﴾[١].

فالحجارة التي أرسلت عليهم حجارة لا تشاكل حجارة الأرض عليها سيما معلومة. أنها حجارة مطوَّقة عليها أو بها نضحٌ من حمرة وهو قول قتادة وقيل أنها مخطط وهو قول الربيع ومنهم من قال مختومة وهو قول السدي[٢].

وعلى أية حال فهي مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا، وتعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها[٣]. وذهب بعض المفسرين كونها (مُسَوَّمَةً)، أنها مكتوب عليها اسم صاحبها[٤]. وقال الفراء: مخططة بالحمرة والسواد. وقال أبو عبيدة: مسومة، أي: معلمة[٥].

---

(١) سورة هود، الآيتان ٨٢-٨٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٣٢/١٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٧٠/٣.

(٤) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ١٥٩/٦.

(٥) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ): ١٦٣/٢.

ISSN: 2071-6028

فهذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله إيذاناً بنفاذ قدرته وشدة عذابه[١] وقد يكون المعنى: إنه سخرها عليهم وحكّمها في إهلاكهم بحيث لا يمنعها شيء، من قولهم: سوّمت فلانا في الأمر إذا حكّمته فيه وخلّيته وما يريد، لا تثنى له يد في تصرفه.

وقيل أن التسويم كان حسيا كما قدمنا بخطوط في ألوانها أو بأمثال الخواتيم عليها أو بأسماء أهلها وكل ذلك يثبت لنا أن التسويم قد شارك في بيان العذاب الذي أرسله الله على قرى لوط التي أرسل إليها كما قدمنا نتيجة الفساد المتزايد والذي تعدى أعراف البشرية وأحكام السماء فكانت هذه الحجارة المسومة هي من ضمن العذاب الذي نالهم وقد جاء في سورة الذاريات أن الحجارة من طين وقد وجهها المفسرون بقولهم في قوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾[٢] أي طين متحجر، هو السجّيل، وهو طينٌ طُبخ، كما يُطبخ الآجر، حتى صار في صلابة الحجارة[٣].

وقال مجاهد أولها حجارة وآخرها طين- وقال الحسن كان أصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعنى الآجر[٤] فهي مقدّرة، ومهيأة قد أرصدها الله للمسرفين الذين جاوزوا الحدّ في الضلال، وفى ارتكاب هذا المنكر الذي كانوا يعيشون فيه، ففي كل حجر وسمها الذي وسمت به ، فتحدّد له موقعه من القوم، وصرعاه الذين يقع عليهم[٥].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت: ط١، ١٤٢٢ هـ: ٣٩٢/٢.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان ٣٣-٣٤.

(٣) البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٢، ٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ: ٣٠٥/٧.

(٤) التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢هـ: ١٠٧/٥.

(٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ٥٢٢/١٤.

ISSN: 2071-6028

وللتسويم أثره في معرفة طائفة من الناس في الآخرة عرفوا بإجرامهم فكانت هذه العلامة تميزهم عن غيرهم من الناس فقال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[١]، فالمجرمون تعرفهم الملائكة بعلاماتهم وسيماهم التي يسوّمهم الله بها من اسوداد الوجوه، وازرقاق العيون.وهذه السيما التي اتصف بها المجرمون ذكرها كل من مجاهد والحسن وقتادة[٢].

وقد أخبر الله تعالى عنها في محكم التنزيل بقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾[٣] فالمجرمون يعرفون بعلامات يمتازون بها عن سواهم، فلا حاجة حينئذ إلى السؤال والجواب، لأن السيما ميزت كل مجرم بنوع جرمه.ولقد اهتدى الإنسان بعقله إلى فوائد هذه العلامات في الدنيا فأنشأت الحكومات إدارات خاصة لعلامات المشتبه فى سلوكهم ومعتادي الأجرام، فتأخذ إبهاماتهم وتحفظها في أضابير خصّيصى بهم، ولكل امرئ خطوط في إبهامه لا تشابه خطوط غيره فيه ولا يحصل فيها التباس، فمتى أحدث أحدهم حدثا وجاء بجرم روجع ملفّه الخاص[٤].

وهكذا كان للسيما دور في الكشف عن فئة من الناس نتيجة إجرامهم في الحياة الدنيا لصدهم عن منهج الله تعالى كما كشفت عن أهل الحق نتيجة أعمالهم الصالحات وقد ضرب الله المثل بأهل الحق بنبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين الذين ناصروه وكانت الأعمال الصالحة ديدنهم فقال في محكم التنزيل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[٥].

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٤١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٢٧/١٩.

(٣) سورة طه، الآية ١٠٢.

(٤) تفسير المراغي: ١٢١/٢٧.

(٥) سورة الفتح، من الآية ٢٩.

ISSN: 2071-6028

فالتوسم كشف عن أهل الصلاح صلاحهم فكان لهم سمت حسن وخشوع وخضوع يظهر أثره في الوجوه، ومن ثم قيل: إن للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما أسرّ أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه(١)، فقد أثرت العبادة –من كثرتها وحسنها– في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم(٢).

فالعمل من أسباب التوسيم فالعمل الباطل له أثره وظلمته على الوجه وهذا ما أخبرت به الآيات القرآنية والعمل الصالح له أثره ونوره يرى على الوجه. هذا وإن هناك توسيما للاعتبار ذكره الله لمن شاهد أو بلغه حال تلك الأمم التي أصابها العذاب نتيجة تخلفها عن منهج الله تعالى فقال عنهم في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾(٣)، فالآية تقرر أن الذي فعله الله بقوم لوط من إهلاكهم، وإحلال العذاب بهم لَعَلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله، وعبر على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به(٤).

وقد اختلف المفسرون في معنى هذا التسويم على أقوال منها أنهم المتفرسين وبهذا قال مجاهد وابن قتيبة يقال توسمت في فلان الخير أي تبينته، ومنهم من فسره بالنظار، فقال الزجاج المتوسمون في اللغة النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء،ومنهم من فسره بالمعتبرين قاله قتادة ،ومنهم من فسره الناظرون قاله الضحاك والمتفكرون قاله ابن زيد والفراء(٥)

(١) ينظر: تفسير المراغي: ١١٥/٢٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٧٩٥.
(٣) سورة الحجر، الآية ٧٥.
(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢٠/١٧.
(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٤١٠/٤

ISSN: 2071-6028

ففي إهلاك الأمم المخالف لمنهج الله تعالى بأنواع العذاب فيه دلالات للمفكرين الذين يعتبرون بما يحدث في الكون من عظات وعبر، ويستدلون بذلك على ما يكون لأهل الكفر والمعاصي من عقاب بئيس بما كانوا يكسبون(١).

وهكذا كشفت لنا تلك السيما عن حالات مختلفة في أطياف البشر فمن معذب ومن معتبر تبعا للسياق الذي جاءت فيه تلك السيما ومن الاعتبار هو التذكير بنعم الله تعالى فيما تفضل به على الخلق من إنزال الماء من السماء واتخاذه للشراب وإنبات الشجر والزروع وهداة الناس للسوم فيه والرعي فقال عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾(٢).

ولما كان أول ما يقيم الآدمي شراب اللبن الناشىء عن الماء فقدمه في الأيات السابقات ثم أتبعه ما ينشأ منه أشرف أغذيته وهو الحيواني، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ لسريانه في الأرض الواحدة واختلاطه بها، فينعقد من ذلك نبات فيه ترعون على سبيل الإطلاق ليلاً ونهاراً ما خلق لكم من البهائم(٣) فالذي خلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم- هو الذي أنزل المطر من السماء عذبا زلالا تشربون منه وتسقون أشجاركم ونباتكم التي تسيمون فيها أنعامكم وفيها ترعى(٤). ترعون مواشيكم يقال: أسمت الماشية إذا خليتها ترعى وسامت هي إذا رعت حيث شاءت. قال الزجاج: أخذ ذلك من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر في الأرض برعيها علامات وقال غيره: لأنها تعلم الإرسال في المرعى(٥).

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: ٣٨/١٤.

(٢) سورة النحل، الآية ١٠.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ١١٧/١١.

(٤) تفسير المراغي: ٥٩/١٤.

(٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٢٢٠/٢.

ISSN: 2071-6028

وسمّيت الأنعام سائمة، لأنها تسم الأرض بأرجلها، أي تترك فيها أثرا، أو تسم المراعى بما تأكل منها، فتترك آثارها عليها[١] وهكذا بين التسوم مظهرا بديعا من مظاهر خلق الله تعالى مع إدماج الامتنان على البشر بما يأتي به الماء العجيب من المنافع للناس من نعمة الشراب ونعمة الطعام للحيوان الذي به قوام حياة الناس وللناس أنفسهم[٢].

(١) التفسير القرآني للقرآن: ٧/٢٧٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/١١٣.

ISSN: 2071-6028

الخاتمة

وفي نهاية البحث عن السوم وما يتعلق به من معاني لا بد من أن أبين أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة الموضوعية والتي كشفت عن دلالات كلمة السوم حسب السياق التي جاءت فيه قد تكون في الحياة الدنيا وقد تكون في الآخرة وهي تتجلى في الآتي:

أولا: السوم يدل في أصله على وصف حالة حسية من معانيها الطلب والمبايعة والعلامة والرعي والإرادة والعرض.

ثانيا: للسوم مساحتها في القرآن الكريم بلغت ثلاثة عشر موضعا ساهمت بصيغها المختلفة في بيان مفهوم السوم، كما أن لها ألفاظ قاربتها في الدلالة وذات صلة بها بينت مفهومها بشكل أوسع وهو من باب التوسع في المعنى.

ثالثا: لقد كانت للفظة السوم أثرها في بيان العذاب الذي صبه فرعون الطاغية على بني إسرائيل كانت نتيجته أن أرسل الله تعالى سيدنا موسى لأنقاذهم من هذا العذاب فكانت في محنتهم منحة لهم في رفعتهم وخلاصهم من أطغى ملك عرفه التأريخ.

رابعا: لقد كان للسيماء (العلامة) دورها في تمايز بعض الناس نتيجة ما اتصفوا بها من صفات وأعمالٍ ميزتهم عن غيرهم،وقد نبه الله تعالى إلى تلك السيماء التي في كتابه العزيز.

خامسا: لقد جاءت ألفاظ السوم في القرآن الكريم لتقرير العذاب من خلال تسويم الشيء للدلالة على مخالفتهم منهج الله تعالى؛ بأن وضعت عليها علامات تفارق ما عند الناس من أمور تعارفوا عليها.

ISSN: 2071-6028

سادسا: كان للعمل أثره في الكشف عن حالة الإنسان من خيرٍ أو شرٍّ، فكان يرافق هذا العمل علامات مهمة تكشف عن تلك الأفعال وهذه العلامات التي تخص العمل الباطل اسوداد الوجه، وزرق العيون؛ أما التي تخص أهل الحق والصلاح فهي نور وبياض يعلو الوجه.

سابعا: للسوم علامات لا تخص الذين وقع منهم العمل السيئ أو العمل الصالح بل تجاوز ذلك للذين ينظرون عواقب الأمور، والذين يتفرسون بها للنجاة مما حل بالأمم السابقة والتي هي محل اعتبار .

ISSN: 2071-6028

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).

٢. البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين: دار الهداية.

٤. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٧. تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

ISSN: 2071-6028

٨. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
٩. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
١٠. التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢هـ.
١١. تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٢. التقفية في اللغة: اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت ٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.
١٣. تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية: ط١، الأولى ١٩٧٩-٢٠٠٠ م.
١٤. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٥. توفيق الرحمن في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العليان للنشر، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

ISSN: 2071-6028

١٦.التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت: ١٠٣١هـ): عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٧.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٨.جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٩.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠.جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي: نهضة مصر للطباعة.

٢١.زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٢.زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢٣.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٤.فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٥.الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، المحقق: حاتم صالح الضّامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٦.في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٢٧.الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٨.الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.

٢٩.كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٠.لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣١.مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٣٢.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣.معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٤.معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة.

٣٥.معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ISSN: 2071-6028

٣٦.المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٧.مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٨.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.